

المحاضرة الخامسة عشرة

لغة الخطاب السياسي: المشكلة والحل

الدكتور وليد عبدالحى
جامعة اليرموك

الخميس 17 محرم 1435هـ- الموافق 21 تشرين الثاني 2013م

مقدمة:

نقطة البدء في تحليل الخطاب- أي خطاب^(١) - هي في تحديد ما إذا كانت اللغة أداة محايدة للتواصل بين الأفراد، وشفافة تتم عن مضمونها ببسر (تشومسكي)، أم أنها "مراوغة" لها شمس و ظلال (بارث)، ثم هل هي أداة تصف الواقع لا غير(كما يعتقد الوضعيون)؟ أم انها تبذع واقعها الخاص (كما يرى السميائيون وغيرهم)؟ تلك هي جوانب البحث في تحليل الخطاب منذ سك عالم اللسانيات الأمريكي هاريس (Zellig Harris) هذا المفهوم، هادفا كما يقول إلى "فهم لا ما يقول الخطاب، بل كيف يقول بغرض تحقيق وعي أوسع له، من خلال تجاوز الحدود الوصفية للجملة، ثم كشف الرابط بين اللغة والثقافة"^(٢).

ولكن إذا انتقلنا لميدان السياسة، هل نبحت السياسة من خلال اللغة (أي أن أداة البحث هي اللغة ومادة البحث هي السياسة)، أم نبحت اللغة من خلال السياسة (وتصبح السياسة أداة البحث بينما اللغة مادته)، ذلك يعني أن المنهج الأول يبحث معنى الحرية في السياسة.. بينما المنهج الثاني كيف يوظف السياسي مفهوم الحرية في لغته؟ الأول يفترض أن للحرية معنى لغويا محددًا، لكن السياسي يتلاعب بسياقات المفردة ليحصل على معانٍ مختلفة، والثاني كيف ينبش السياسي اللغة ليصل لمآربه؟ إنها تلك العلاقة بين المتنبي وسيف الدولة؟ فأيهما كان يستغل الآخر؟ فالأول يوظف اللغة ليحصل على السلطة، والثاني يوظفها لتعزيز سلطته.

وإذا كان أطراف لعبة الخطاب ثلاثة: مرسل ومستقبل وبينهما رسالة (نص مكتوب أو مسموع)، فهل هناك توزيع لموازن القوى بين هذه الأطراف؟ ولمن يختل ذلك الميزان؟ ومتى يختل؟ أم أن التوازن في القوى هو القاعدة؟ وكل ذلك

يعني أن العلاقة بين الأطراف الثلاثة هي علاقة قوى، وجوهر السياسة هو "علاقات قوى".

ويبدو أن علماء السياسة يجهدون في تحليلهم للخطاب السياسي نحو استقلالية عن محددات الخطاب الأدبي بحكم لغتهم الخاصة، فكيف نفهم قول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر بأن "الدبلوماسي الذكي هو الذي إذا قال نعم فهو يعني ربما، وإذا قال ربما فهو يعني لا، ولكنه لا يقول لا"، وهو ما يجعل الباحث مضطراً للاتكاء على طيف من مناهج التحليل بدءاً من التحليل النفسي وانتهاءً بالتحليل الكمي، فهل هذا ممكن؟^(٣).

فإذا اخترنا الخطاب السياسي العربي المعاصر مادةً نختبر من خلالها تساؤلاتنا السابقة، فإن علينا بدايةً أن نحدد معايير تمييز النص السياسي عن النص غير السياسي؟ فهل الإعلان عن عدد الأنواط (المداليات) التي فازت بها دولة معينة في المهرجانات الرياضية الدولية هو نص سياسي أم غير سياسي؟ ثم من هو المرسل هنا للنص؟ هل هم أفراد أم سلطة سياسية أم زعماء أم جهات إعلامية، أم منظمات دولية أم مفكرون؟ وما هي الرسالة السياسية؟ هل تعني الرسالة السياسية شريحة مجتمعية (المتلقي) دون غيرها؟ وعليه - في هذه الحالة - من هو المعني بخطاب الديمقراطية أو الحرية أو المساواة أو العدالة أو كل خطابات المنظومات القيمية التاريخية والمعاصرة؟ هل هو فرد معين أم الجمع كله؟ فعلى سبيل المثال، ثمة فارق بين خطاب حقوق المواطن وحقوق الإنسان، فالثاني يشمل الأول لكن العكس غير صحيح.

لعل كل هذه الأسئلة تستحق منا التأمل العميق من ناحية والرؤية في الإجابة من ناحية أخرى.

ألوان الخطاب السياسي:

لغايات منهجية بحثية، نشير بداية إلى توزيع ألوان الخطاب السياسي على

ثلاثة هي:

أ- **الخطاب السياسي الأكاديمي التعليمي** : ويشمل هذا اللون المؤلفات

السياسية التعليمية منها ومعلومة، وهي أدبيات تسعى للتعريف بالخطاب منزهة - افتراضا - عن كل غرض، لكن ذلك لا يستبعد توارى الغرض في منهج التعريف، فالقول مثلا إن "كارل ماركس يهودي" يبدو في مظهره قولاً تعريفاً، لكنه يوارى ظللاً للمتلقى العربي أوسع كثيراً من ظلال المتلقي غير العربي، أو للمتدين بغير اليهودية من المتدين باليهودية... والقول إن الشرق الأوسط الكبير إقليم جغرافي يمتد من موريتانيا إلى غرب باكستان هو تعريف تتوارى فيه أيديولوجيات واستراتيجيات تذيب الهويات القومية لصالح تكريس هويات جيواستراتيجية، ذلك يعني تأكيداً لعبارة أن "كل نظرية من شخص ما ولغرض ما" كما ترى المدرسة النقدية في نظريات العلاقات الدولية.

ب- **الخطاب السياسي الجماهيري** : وهو نص تحريضي، دعائي يرتبط في

الغالب الأعم بالمناسبات والأزمات، ويأخذ شكل الخبر السياسي أو النص المتكامل أو الشعار أو الأغنية أو الطرفة، فلو أخذنا الطرائف السياسية حول زعيمين مثلاً كعبد الناصر أو السادات، فإن طرائف الأول ترسم صورة الشخصية "القوية سلماً أو إيجاباً"، بينما ترسم للثاني صورة "المراوغ"، وهكذا الشعار والأغنية.. إلخ، وتصبح دلالات الزمان والمكان أكثر جدوى كعوامل منهجية مساعدة في تفكيك الخطاب السياسي، ونجد نفس التحليل للطرائف السياسية في الأزمة السورية التي بدأت منذ 2011، حيث قام الباحث بتحليل الرسوم الكرتونية والتعليقات الواردة على صفحات الإنترنت، وطبق الباحث المنظور السيكلوجي، وميز من

خلال الاستناد للمنظور الفرويدي للطرائف "البريئة" والطرائف "المعرضة" ليتعرف صورة النظام في الذهن المجتمعي، وكيف تتحول الطرائف إلى أحد أشكال المقاومة^(٤).

ج- **الخطاب التنظيري الأيديولوجي** : وهو الخطاب الذي يبده مفكرون أو تيارات فكرية تتواصل في تشييد هذا البناء عبر مراحل تاريخية، وتروجه وتتبناه المنظمات السياسية كالأحزاب وجماعات الضغط وجماعات المصالح، ويبدو هذا الخطاب كنص مبني بعناية، يبرهن على صحة مقولاته بقدر من المقدمات والنتائج المنطقية من وجهة نظر صاحبه.

إن تعبير أرسطوطاليس بأن "الإنسان حيوان سياسي" يشدني للزعم بأن كل خطاب أو نص هو "خطاب سياسي" في نهاية المطاف، فإذا كان الفعل السياسي هو عمل قصدي لتنظيم الحياة اليومية للمجتمع، فإن ذلك يعني أن تفاصيل السلوك الإنساني هي في جوهرها سياسية، لكن لكل خطاب مركزه أو منظوره (paradigm)، ومركز الخطاب السياسي هو "السلطة"، فإذا انتزعنا هذا المفهوم من الخطاب السياسي انهار هذا الخطاب، ويصبح كالمشجب الذي إذا سقط، سقط معه كل ما عُلق عليه.

ويرى أرسطو أن الخطاب السياسي يقوم على ركائز ثلاث هي: أخلاقيات المجتمع (ethos)، محاكاة المشاعر الشعبية (pathos)، والمنطق (logos)، وهو ما يعني التشابك المرهق بين المنطق وقواعد اللغة وبين الصورة التي تركبها الاستعارات اللفظية (metaphor) والمجاز (metonymy) والجناس (analogy) في بنية الخطاب^(٥).

ذلك يستدعي عند تحليل الخطاب التوقف عند مفرداته التي تشمل^(٦):

أ- الإشارة للزمان والمكان (الحدود، الجوار، المياه الإقليمية، الشرق والغرب، والشمال والجنوب.. الخ) والمكانة والعلاقة والسياق.

ب- التفاعل الذي يقوم على الترابط مع جهة معينة أو الانفصال عن أخرى.

ج- التفاوض وخذاع اللغة (أراض، الأراضي في قرار مجلس الأمن رقم 242 الخاص بالصراع العربي الصهيوني)، أو في مفردات الوصف، وهو ما يفتح باب مشكلة الترجمة سواء في المفاهيم (هناك فرق في المستوى بين الصراع (conflict) والنزاع (dispute))، أو في الاتفاقيات الدولية التي تعد بلغة غير عربية وينص فيها على المرجعية اللغوية عند الاختلاف على المعنى (اتفاقية كامب ديفيد تنص على أن اللغة الإنجليزية هي المرجعية عند الخلاف على معنى مصطلح معين في الاتفاقية).

د- التنبؤ ومفرداته، وهنا لا نكون بالضرورة معنيين بالدقة التقنية في التنبؤ، بمقدار العناية بالمدلول الآتي، (مثل تصريح لافروف حول احتمالات الحرب الأمريكية السورية في 30-8-2013، إذ قال: "لن ننجر لحرب مع أحد"، فهو هنا يفتح الطريق للولايات المتحدة لاحتمال إعادة النظر في موقفها، لأنه لو قال "سنقف إلى جوار سوريا في الحرب" لزداد الموقف الأمريكي تعقيدا، لأن التراجع الأمريكي سيبدو وكأنه "تحت الضغط الروسي"، وهو ما سيعيق التراجع بدلا من أن يبسر، كما أن التصريح يعني أن روسيا ليست دولة عدوانية، وأنها دولة قوية قد يؤثر موقفها في نتائج الحرب، وقد تعني أنه يتحلل من التزاماته مع سوريا... إلخ.

ه- التصنيفات المتعارضة: وهي التي تأخذ طابعا ثنائيا مثل: العدو

الصديق، الخير الشر، الحرب السلام... إلخ.

و- توزيع الأدوار: إذ ينطوي الخطاب السياسي على توزيع ضمنى للأدوار مثل الحكم والمحكوم، السلطة والشعب، الحكومة والمعارضة.

ز- الاستعارات والخيال التي تستهدف التأثير على المتلقي، مثل: (اصطياد بن لادن، طائرة الشبح، القنبلة الذكية.. إلخ).

ح- العاطفة: وهي مصطلحات الشحن الوجداني للمتلقي، مثل حب الوطن، أهلي وعشيرتي، العراق العظيم، التاريخ المجيد.. ذوي القربى... إلخ. وتؤكد دراسة جامعية هذه النقطة من خلال التأكيد أن الخطاب السياسي العربي أكثر نزوعاً للعاطفة (Emotive) منه في الخطاب السياسي باللغة الإنجليزية على سبيل المثال، وتدلل الدراسة على ذلك بعدد من المؤشرات التي توصلت لها من خلال مقارنة عدد كبير من النصوص السياسية باللغتين:^(٧)

أ- التأكيد على الذاتية في العلاقة بين المتحدث والمستمع أو الكاتب والقارئ.

ب- كثرة الجمل المعترضة التي تؤكد على الترابط بين طرفي العلاقة في الخطاب السياسي.

ج- تكرار الضمائر (ضمير المتكلم والمخاطب..أنا، نحن، أنت، أنتم)، مما يعزز فكرة العلاقة.

د- كثرة مفردات "البلاغة" أو التي لها وقع حاد.

مناهج تحليل الخطاب السياسي:

تتنوع مناهج تحليل الخطاب -بشكل عام- بين تحليل المضمون والتأمل

النقدي للمفاهيم من ناحية وبين مناهج الألسنية عبر حقل دلالة النص ومسار

البرهنة على صدق المفهوم والدلالة المرجعية للمفهوم في الخطاب من ناحية ثانية،

أما في الدراسات الخاصة بتحليل الخطاب السياسي فإن أغلب هذه الدراسات تركزت حول توظيف المناهج التالية (وسنعرض لاحقا لنماذج موجزة منها لتحليل الخطاب السياسي العربي):

1- تحليل المضمون: لعل الوظيفة الرئيسية لتحليل المضمون تتركز في كشف "ما وراء النص" من خلال قياس كمي للمفردات للكشف عن تلك التي تتكرر أكثر من غيرها بغرض تكثيف الدلالة في ذهن المتلقي نتيجة لسيطرة مفهوم معين على المنظومة المعرفية لمنتج الخطاب، وقد يأخذ القياس شكلا آخر، وهو قياس المساحة المعطاة للنص سواء بالمساحة أو الزمن (للخطاب الشفوي).

2- منهج التأمل النقدي (التحليل الإدراكي): ويعني الربط بين بنيتين هما بنية الخطاب السياسي من ناحية وبنية السياق السياسي للخطاب^(٨)، وتتركز عملية الربط هذه بين النص السياسي وبين توزيع القوة (السلطة) في السياق المجتمعي.

ويعد الباحث الهولندي فان ديك رائد منهج تحليل الخطاب الاجتماعي الإدراكي^(٩)، وهو المنهج الذي يقوم على تحليل الأيديولوجية والخطاب السياسي والخطاب الإعلامي من خلال البحث عن صلة الوصل بين بنية القواعد النحوية وبنية المفردات والجمل والسردية (كما تعكسها النظرية البنائية الاجتماعية) من ناحية^(١٠) والإدراك من ناحية ثانية في دراسة النص، بالإضافة إلى استخدام مناهج تحليل الخطاب، ولعل ذلك أسبغ على منهج فان ديك الطابع التكاملي لمنهج هـ.

ومع مطلع الثمانينات من القرن الماضي، تحول فان ديك إلى مجال تحليل الخطاب، إذ أولى عنايته للتكوينات الخطابية الإعلامية مع الأخذ في الاعتبار كل المستويات والأبعاد الكلية والجزئية داخل النص، بدءا من المفردات وبنية الجملة

والأدوات البلاغية ودلالات الألفاظ والمضمون القيمي للمعلومات التي يسوقها الخطاب، بالإضافة لعنايته بالفكرة المحورية، وبـ التنظيم العام للنص، والبنية التخطيطية للنص، والبنية الفرعية.

وقد وظف فان ديك منظومة البنية الفوقية (superstructures) لإدراك عملية إنتاج واستقبال النصوص التي تسكن النصوص الإعلامية التي تطوي بداخلها تلك البنيات الفوقية ، ولعل ذلك يفسر عنايته بدراسة الخطاب السياسي والأيدولوجي لكشف الأبعاد المعلنة والم ستنرة التي يشتمل عليها الخطاب الإعلامي.

ولعل الدراسة لموضوع الديمقراطية في المجتمع المصري تكشف لنا الجانب الإجرائي في هذا المنهج، إذ قامت هذه الدراسة على بحث موضوعها على مستويين؛ الأول مستوى اجتماعي إثنوغرافي يسعى لتعرّف السياق التفاعلي الذي أنتج فيه الخطاب، بينما ذهب المستوى الثاني إلى المستوى اللغوي المعني بتعرّف الأدوات اللغوية المحددة التي وُظفت في الخطاب.

ومن خلال تطبيق هذه المنهجية حاول الباحث تعرّف الوظائف الاجتماعية والسياسية التي يجرها الخطاب عن الديمقراطية للفاعلين السياسيين المتنوعين على المسرح السياسي المصري ، وما الآثار اللغوية الدالة على هذه الوظائف، التي يستطيع المرء اقتفاء أثرها في عدد من شواهد الخطاب حول الديمقراطية⁽¹⁾.

3- مناهج الألسنية: وهي المناهج التي وظفها الباحثون السياسيون على خطى الباحثين في ألوان الخطاب المختلفة مع تكييفها بما يناسب طبيعة الخطاب السياسي من خلال:

أ- حقل دلالة النص: ويتم من خلال الخطوات التالية:

- تحديد المفهوم المركزي في النص.

- تحديد المفاهيم المعارضة للمفهوم المركزي.

- تحديد المفاهيم الموائمة للمفهوم المركزي.

- كشف شبكة العلاقة بين المفاهيم كلها.

ب- مسار البرهنة: تحديد الدلائل التي يقدمها المتحدث أو الكاتب للتأثير على المتلقي، وهنا تتضح أهمية البعد المفاهيمي (Conceptual) في تحليل الخطاب، إذ لدينا مجموعتان من المفاهيم: الأولى المفاهيم التفسيرية (Explanatory) التي تعطينا قدرة أكبر على تفسير أكثر دقة لجوانب رئيسية من ظاهرة معينة، أو اكتشاف مفاهيم تصلح لتفسير قضية معينة كان يعتقد أنها تستعصي على التفسير (فمثلا لعب مفهوم اللاوعي دورا كبيرا في إعادة النظر في بعض المسلمات، وأصبحت الإنثروبولوجيا السياسية فرعا قادرا على تزويد الباحث بآليات تفسير جديدة لظواهر معقدة كالأساطير مثلا).

أما الثانية، فهي المفاهيم ذات الأبعاد الميتافيزيقية (Metaphysical) التي تستهدف نوع الشواهد أو الأدلة التي يقبلها الفرد ليقرر كيفية تقييم شيء بأنه صحيح أو خاطئ، فإذا تحولنا من تفسير التخلف على أنه نتيجة "سوء العلاقة مع الله"، إلى تفسيره على أنه نتيجة خطأ إدارة العلاقة مع الإنسان الآخر، نكون قد تحولنا في مفاهيمنا نحو منظومة مفاهيمية جديدة.

ج- حقل الدلالة المرجعية: حصر الدلالات المرجعية للمفاهيم التي اختيرت

لتكون موضوع التحليل (المرجعية قد تكون قيمية أو شخصية أو مكانية أو زمانية.. إلخ).

بعد ذلك، لا بد من الإقرار بأن هناك علاقة بين إنتاج الخطاب السياسي في مجتمع ودرجة تطور المجتمع ومكوناته الثقافية في لحظة ما، كما يميل الجزء الأغلب من الخطاب السياسي نحو "الذرائعية". ويقف الخطاب السياسي ضمن نظام أيديولوجي أكبر، فهو الجزء الظاهر من هذا النظام، بينما يشكل الإجراء (الممارسة) الجزء المستتر. فالأيديولوجيا، تقع في نقطة بين الواقع الحقيقي المتيقن وبين تصورنا عن الواقع، مما يجعلها مزيجاً من المعلوم والموهوم، ومن المتحرك والساكن، غير أن موازين القوى بين هذه الأبعاد المتفاعلة في دوارق المؤسسة الأيديولوجية تتباين من مرحلة تاريخية لأخرى، فتغلب في مراحل محددة نسبة العناصر المتحركة قياساً للساكنة، كما في المراحل الثورية، ففي وقت التطلع إلى الحكم والسلطة ومواجهة النظام القديم تسود العناصر المعرفية التي تروج الحاجة للتغيير الثوري بادعاء أنها تمثل مصالح المجتمع ككل.. بينما تتزايد غلبة الأبعاد الساكنة في مرحلة بلوغ أصحاب هذه الأيديولوجيا كرسي السلطة، وتبدأ أبعاد "الذرائعية" تنمو تدريجياً للمحافظة على الواقع (ويكفي دراسة خطابات الإخوان المسلمين في كرسي المعارضة، وخطاباتهم في كرسي السلطة في فترة تولي محمد مرسي في مصر للسلطة).

الخطاب السياسي العربي المعاصر:

فرضية البحث:

تقوم فرضيتنا التي سنسعى لبرهنتها على أن "البعد الميتافيزيقي"^(١٢) القائم على الإدراك القبلي السابق على التجربة ثاو في مفاصل الخطاب السياسي العربي، وهو تعبير عن لاوعي العقل الجمعي، وبأخذ طابع المصالحات الذهنية التي تفتقد إلى العقل الأدوات"^(١٣)، نتيجة الارتهان الواعي أو اللاواعي لفكرة "المطلق"، بغض النظر عن المضمون الأيديولوجي للخطاب إسلامياً أو ليبرالياً أو قومياً أو

ماركسيا، وأن ذلك عائد لسطوة التاريخ على العقل العربي من ناحية والبنية القبلية بكونها نواة صلبة للنسق الاجتماعي ثانياً، والمنحى المثالي في تطلعه القيمي من ناحية ثالثة.

التحليل:

أزعم بداية أن أضعف المساهمات لأدبياتنا العربية الإسلامية كانت في الحقل السياسي الذي يتمحور بشكل أو آخر حول ظاهرة السلطة السياسية^(١٤)، لكن الأمر فيه من الالتباس للمتخصص في هذا الحقل بمقدار ما فيه للعامة، فما هو "السياسي" في الخطاب العربي وما هو "غير السياسي"؟ فمركز الخطاب السياسي هو "السلطة أو القوة" هجوماً عليها أو دفاعاً عنها من ناحية، وحول مدى "العدالة" في توزيعها من ناحية أخرى، وأغلب دراسات تحليل الخطاب السياسي تنصب على ما ينتجه "السياسيون أو المؤسسات السياسية على المستويات المحلية أو الإقليمية أو الدولية" من نصوص (خطب الزعماء والمواثيق والدساتير والأيديولوجيات، بل ومناهج تحليل الظاهرة السياسية).

والتركيز على الخطاب في مدلوله اللغوي الذي تركز عليه الدراسات الأدبية يجرفنا نحو "الاتصال السياسي"؛ وهو ما يعني "مهارات الإبلاغ والإقناع"، وهنا يصبح المتلقي أيضاً طرفاً في إنتاج الخطاب. وقد تبين لنا من خلال تحليل نشرة أخبار "البي.بي.سي" (هيئة الإذاعة البريطانية) الخاصة باشتباكات حزب الله مع القوات الإسرائيلية خلال حرب تموز عام 2006، أن الهيئة نقلت 37 بياناً عسكرياً من الطرفين، منها 27 بياناً أصدرتها القيادة الإسرائيلية قبل أن يعلن عنها حزب الله و10 بيانات أصدرها حزب الله قبل أن تعلنها إسرائيل، لكن الهيئة نقلت حرفياً هذه البيانات بأمانة تامة مع ملاحظة واحدة تستحق التأمل، وهي أنها رتبت

الـ37 بياناً عسكرياً بأن تبدأ دائماً بالبيان الإسرائيلي ثم بيان حزب الله، رغم أن الحزب أعلن عشر مرات قبل إسرائيل عن الواقعة نفسها.

إن إحدى قواعد الإعلام تقوم على أن الفرد يحاكم المعلومات اللاحقة استناداً للمعلومة السابقة، أي تصبح المعلومة الأولى وكأنها إطار معرفي يقيد تفسيرات ما يلي بعدها، فيصبح قول الناطق الإسرائيلي هو قاعدة النقاش لمعلومات حزب الله، وهنا لا يظهر في البنية المباشرة للغة هذا التسلسل لعقل المتلقي، لكنه يتوارى فيه كتواري الأسلاك المعدنية في جدران الإسمنت.

ذلك يعني أن الخطاب سيشمل ما ينتجه "اللاعبون السياسيون" من ناحية و"الفعل السياسي" من ناحية ثانية، وهو ما يعني السياق الذي ورد فيه الخطاب، الأمر الذي يضيف ضرورة دراسة المكان والزمان والقوانين والقيود والأهداف والنوايا.... إلخ. (text and context).

ويرتكز كل خطاب سياسي على أطر نظرية ترتكز بدورها على مفاهيم مترابطة في النص، لتبني صورة ذهنية للمتلقي ترتسم من خلالها ملامح الظاهرة السياسية في مستويين، مستوى الترابط المنطقي في بنية الخطاب، ومستوى القدرة على انتقال مضمون الخطاب إلى حيز التطبيق والفعل، والجسر الواصل بين الترابط المنطقي وحيز التطبيق يعتمد على المتلقي بمقدار اعتماده على منتج الخطاب.

متكئاً على ما سبق، سأعمل على قصر جهدي في رصد المفاهيم المركزية في الخطاب السياسي العربي المعاصر، ثم أعمل على رصد مضمون كل مفهوم ومدى اتساقه بين مستخدميه، ومدى ما يصيبه من تغير في المضمون عند انتقاله لحيز التطبيق أو ميدان الفعل.

تحديد المفاهيم المركزية في الخطاب السياسي العربي المعاصر

عند إشارتنا للخطاب السياسي العربي المعاصر، نبدو وكأننا نسلم مسبقاً بأن لدينا بنية داخلية لنظام الخطاب السياسي العربي، وهذه البنية تشكل المحدد الذي يميز ذلك الخطاب عن غيره، وهذه البنية تقوم على دعامين هما شكل الخطاب متمثلاً في التراكيب اللغوية بين المفردات التي تقضي إلى مفاهيم تعلق على المفردات المجردة أولاً، ومضمون الخطاب ثانياً والذي نبلغه بتحليل عقلي لما يستبطنه التركيب اللغوي عبر توظيف للمفاهيم يساهم في فك ما استعصى على الفهم، الأمر الذي يعني أننا نسلم بوجود علاقة بين الشكل والمضمون.

لكن هذه العلاقة بين الشكل والمضمون ليست علاقة طليقة ومتحررة من الضوابط، إنها تفاعل يتم في دورق المنظومة القيمية التي تشكلت تاريخياً وتضبط العلاقة والدلالة بين المفردات والمفاهيم الثابتة في باطن الخطاب، وهو ما يعني توثيق الصلة بين المفهوم من ناحية، وسياقه التاريخي من ناحية أخرى، لتعريف مدى تطوره عبر رحلة الخطاب، وهو ما يؤسس لتحرك دقيق للصلة بين بنية المجتمع وبنية الخطاب معبراً عنها بشبكة المفاهيم التي يتأسس الخطاب عليها، وسأوضح ذلك بمثال واحد، ففي النص المشهور المنسوب لعمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" يرد مفهوم الحرية هنا بمعنى "تقيض الرق" بالمدلول الاجتماعي التاريخي للرق، لكنه لا يتسع بدلالاته لمعنى الحرية كما هو متداول في الخطاب المعاصر، لأن منظومة القيم الحاكمة لمعنى المفاهيم أصابها تغيير عميق، فتشابه اللفظ لا يستوجب تشابه المعنى نظراً لتباين السياق. والقيم تمثل "مثالية" تسيطر على الحركة، ولكن هذه المثالية ليست إلا نتاج عراك عضوي وعقلي بين الفرد وبيئته الطبيعية والاجتماعية، فالقيم ثمرة التفاعل كما يقول ويندت في النظرية البنائية (constructivism).

كل ذلك يعني أن جيولوجيا الخطاب السياسي (والخطاب بشكل عام) تقوم على صفائح يعلو بعضها بعضاً، لكن قاعدة ارتكازها هي البنية الاجتماعية تعلوها منظومة قيمية توجه الحركة وتضفي عليها مستوى شرعيتها، ويتم التعبير عن هذه المنظومة بشبكة مترابطة من المفاهيم التي تستند على مفردات اللغة.

ذلك يعني أن أسس تحديد المفاهيم في الخطاب السياسي العربي المعاصر يشترط-في منهجنا هذا- وعياً بدوائر ثلاث:

أ -البنية الاجتماعية العربية المعاصرة: وهي مجموعة الوحدات الاجتماعية بدءاً من الفرد والأسرة والعشيرة والقبيلة والأمة والحزب والنقابة... إلخ، ثم شبكة التفاعلات بين هذه الوحدات، ومنظومة القواعد التي تضبط هذه التفاعلات.

ب -المنظومة القيمية في المجتمع العربي: وهي تعبير عن مثاليات المجتمع العربي التي تشكل مرجعية الحكم على السلوك سياسياً كان أم غير ذلك، ولعل الفارق بين مجتمع وآخر ليس في توافر منظومة قيمية، بل في سلم القيم للمجتمع، فبعض المجتمعات تجعل من الحرية قيمتها العليا، وتخضع بقية القيم (المساواة، العدالة.. إلخ) للقيمة العليا، بينما هناك من يجعل العدالة هي القيمة العليا (كأغلب الحضارات الدينية) ليخضع لها بقية القيم.. وهكذا.

ج -تحديد المفاهيم المركزية والمفاهيم التابعة في بنية الخطاب العربي السياسي المعاصر، وهو ما يستدعي تعيين حدود الخطاب السياسي في أدبيات المجتمع العربي.

1- مفهوم السلطة:

الفارق بين الفكر الغربي والفكر العربي في السياسة أن الفكر الغربي يحاول بناء خطاب يتحرر تدريجياً من سلطة "السلطة" كمفهوم مركزي (التعددية، القطاع الخاص، المجتمع المدني، العولمة، النظم الإقليمية، الانتخاب، الإنسان)، بينما

يتركز الفكر العربي على خدمة "سلطة السلطة" (١٥)، واعتقد أن المشكلة تكمن في علاقة كل من المجتمعين بالميتافيزيقيا التي انعكست بتحرر من أسرها حد الفوضى في الفكر الغربي، مقابل ارتهان لها في الطرف العربي حد "الرهبنة". وهو ما يتضح في أن المفكرين العرب الليبراليين أو الماركسيين يقولون في جلساتهم الخاصة عند مناقشة الدين خطابا أكثر وضوحا مما يقولونه في جلساتهم العامة أو كتاباتهم، وهو ما يعني إنتاج خطاب متداول يقترب من القصد دون بلوغه.. ولعل ترك ذلك للتأويل ليس مفصولا عن "خطاب التأويل في التراث الإسلامي العربي"، والخوف من سلطة المجتمع، وهو ما يجعل الخطاب السياسي العربي محشورا بين ضاغطين هما السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية، فهو أقرب للنص الديني القابل للتأويل كما سنوضح لاحقا.

إن ابرز سمات المجتمع الإنساني المعاصر هو "تآكل مكانة السلطة" بكل أشكالها، فالسلطة في نهاية المطاف ليست إلا "مجموعة قواعد لتحديد السلوك الفعلي أو اللفظي ضمن ظرف اجتماعي يكره الأفراد أو يقنعهم بشكل أو آخر على الالتزام بها"، ويبدو لي أن درجة الالتزام بقواعد اللغة (Grammar) لم تعد بتلك الأهمية لا سيما في الخطاب السياسي (انظر الخطابات السياسية والمقالات الصحفية.. إلخ)، كما أن الالتزام بقواعد اللباس أضحت أقل تشبها بالطوقس التقليدية، ومهابة المعلم والأب وشيخ القبيلة ليست على القدر نفسه، وهو ما يجعل السلطة السياسية في غير منأى عن ذلك كله (تقليص مدة الحاكم أو عدد مرات حكمه أو مدى صلاحياته... إلخ)، فديكتاتور السلطة السياسية ليس إلا نتاج شبكة ديكتاتوريات صغيرة في النسيج الاجتماعي الذي يتسنمه، ولكل منها نظام معرفي يسندها، فإن تهلّل ذلك النسيج تراخت قدرة الديكتاتور.

ونظرا للتحولات الكبرى في العالم خلال القرن الماضي والحالي، وهي تحولات لا يتسع المقام للخوض في تفاصيلها، فإنني أرى أن البعد التقني وتطوره المتسارع عزز إحساس الفرد "بسيادته وذاتيته"، فانعكس ذلك على مساحة إحساسه بالحرية طالما أنه منتج لتلك التقنية، لكن مستهلك التقنية يبقى غير قادر على تحسس آثارها على منظومته القيمية، فيبقى يعاني بين "خطاب غير تقني" ينتجه، ومعايشة للتقنية في كل تفاصيل حياته اليومية.

2- تغليب فكرة "التوفيق على الصراع" بين المتناقضات في تفسير ظاهرة

التقدم والتطور :

أزعم أن السمة العامة في الفكر الغربي هي اعتبار الصراع أداة تطور ضروري، وان ديالكتيك الحياة لا يتوقف، فالأفق مفتوح لا تأسره أية لحظة، بينما يبدو الخطاب السياسي العربي قائما على نظرة ميتافيزيقية هي أن التوفيق بين المتناقضات هو المدخل للتطور، ويكفي أن نشير في الفكر السياسي العربي المعاصر إلى ثلاثة نماذج للخطاب السياسي العربي، أولها فكرة التعادلية عند علال الفاسي في المغرب العربي، التي تقوم على إمكانية تحقيق مجتمع تتعادل فيه القيم التاريخية الكبرى في نفس اللحظة ونفس المكان، وهي العدالة والمساواة والحرية، رغم أننا لا نجد نموذجا في التاريخ الإنساني كله تعادلت فيه القيم الثلاث، ويبشرنا محمد عبده بنموذج ثان وهو نموذج المستبد العادل، أي قوة قاهرة لا تقيدتها إلا قيودها هي، ونطمئن لها لتحقيق العدل، بينما حاول الخطاب القومي العربي أن يقيم التطور على ساقين هما القومية والدين رغم التناحر بينهما في التاريخ العربي ذاته (صراع العرب مع الفرس والترك وظاهرة الشعبوية.. إلخ)، وفي الناصرية "تذويب الفوارق بين الطبقات" من خلال تحالف "قوى الشعب".. إلخ، وتبدو هذه الإشكالية في العلاقة بين العروبة والإسلام، فمع وجود تناقض

بينهما (لأيهما الأولوية)، ورغم جذورها التي تمتد في التاريخ العربي الإسلامي لظاهرة الشعوبية، فإنها تجددت في الدولة العثمانية والرغبة في الاستقلال عنها^(١٦).
عنها^(١٦).

ومن بين المفاهيم التي تظهر وتختفي في الخطاب العربي مفهوم "التسامح"، فهو يبدو في مظهره الخارجي تعبيرا عن نزعة أخلاقية تقوم على غض الطرف عن أخطاء الآخرين أو كظم الغيظ من هفواتهم، لكنه يستتر بعدا غير أخلاقي عند نقله للفضاء السياسي، إذ إنه يتضمن التقرير المسبق بأن الآخر غير ذي حق في قوله أو فعله ولكنني سأتجاوز له عن دونيته، إنه حكم معياري مسبق يفترض تنازلا عن حق لم يثبت بعد"، إن التسامح في السياق الزمني السياسي المعاصر الذي طغى فيه يعني التوفيق بين الحق العربي في مواجهة إسرائيل وحلفائها وبين القوة للآخرين، إنه توفيق لا يمكن إدراك دلالاته بعيدا عن كونه تعبيرا عن الضعف العربي وليس "الأخلاق" العربية.

وتتضح عملية التوفيق في فكرة "الوحدة"؛ إذ يحتل مفهوم "الوحدة" مكانة مركزية في الخطاب السياسي العربي، ويمتد المفهوم للسلطة السياسية بوحادية الحاكم، ووحادية الأمة، لكن الواقع لا يتناغم مع هذا المنحى، إذ إن تركيز الخطاب على الوحدة لا يدل على "وعي" بمقدار ما هو ضيق بـ"التشرذم" التاريخي في التاريخ العربي، وهو ما يعزز فكرة "الصبغة الميتافيزيقية"، وهو ما سيتضح لاحقا.

3- مفهوم الدولة:

عند النظر في تسميات الدول التاريخية خارج نطاق التجربة الإسلامية، نجد أن اسم الدولة ارتبط بالمكان أو القومية (الإمبراطورية الفارسية، الرومانية،

البريطانية، الأثينية، الفرنسية، السوفيتية... إلخ) بينما نجد شخصنة الدولة في الجزء الأطول من تاريخ التجربة العربية الإسلامية (الدولة الراشدة، الأموية، العباسية، العثمانية، وفي الوقت الحالي السعودية، الهاشمية)، وهو أمر واضح لدى المؤرخين الإسلاميين، فابن خلدون يتحدث عن "دولة بني العباس" حتى لو عنى بها "السلطة أو الحكومة، مما يعني أن هناك خلطاً بين العقار (real estate) والدولة (state) في الخطاب السياسي العربي إلى حد يقترب من مفهوم "المضارب" في خطاب البداوة العربية.

4- سطورة التاريخ:

لعل حضور التاريخ في الخطاب السياسي العربي المعاصر يبرز بشكل جليّ في مفهوم "الثوابت"، وهي تعني "القيم والعقائد والنظم المحددة التي تأخذ صورة مكتملة ونهائية وغير قابلة للتطور والتجديد، وتعلو فوق الأزمان والبيئات المرتبطة بالإنسان حيث وجد وأتى وجد"، وينظر إلى هذه "الثوابت باعتبارها قيماً موضوعية ومستقلة عن كل اهتمام شخصي أو ثقافي"، وما على الإنسان حيالها إلا أن يلتزم بها ويصوغ سلوكياته وفقاً لمقتضياتها^(١٧)، فإذا أخذنا بهذا التعريف وقمنا بعملية مسح للخطاب السياسي العربي بدا لنا أن أغلب مفاهيم الظاهرة السياسية تقع في دائرة "الثوابت" سواء الوحدة أم القومية أم الوطن أم الدين أم الطبقة أم اللغة أم الحزب أم الشعب أم الأمة، وبكيفية لا يبقى فيها للمتغير مكان، وهو ما نجده في أدبيات الأحزاب العربية كلها، ولو تباينت توظيفات هذه المفاهيم إلا أنها تقدم في هذه الخطابات على أنها "ثوابت".

ويبدو لي أن طغيان أدبيات الثوابت هي استمرار لمنظور ميتافيزيقي يقوم على "ثوابت مقدسة"، فإما أن تقبلها أو تقدم "ثوابت مقابلة لها وموازية".

5- الإحساس بالدونية تجاه الفكر الغربي:

فعند التمعن في الخطاب السياسي العربي نجد العلمانيين العرب أسرى الشكل والمضمون للخطاب السياسي الغربي، لكنهم يقرون-على استحياء أحياناً- بتباين البيئة الحاضنة للخطاب الغربي عن البيئة العربية، فلا هم قادرون على إنتاج خطاب موائم للبيئة، ولا هم قادرون على التحلل من الانجذاب لبريق الخطاب الغربي، كما أن عقدة النقص لدى هذا الخطاب أنه لم يجد الحامل الاجتماعي له، فبقي محشوراً في "ركن النخبة" من المجتمع، أما التراثيون في الخطاب السياسي فهم عصابيون في تعاملهم مع الفكر الغربي نتيجة إحساس عميق بقسوة الواقع المؤكد لغلبة الغرب وتفوقه عليهم، وأنه ينازعهم الأنصار في عقر دارهم.

وتتجلى أحاسيس الدونية في مفهوم متكرر في الخطاب السياسي العربي وهو مفهوم "الخصوصية"، الذي يعني التحوط من توظيف مفاهيم فكرية معينة لكونها "منتجاً خارجياً" لا يتسق وخصوصية مجتمعاتنا، كما أنها-هذه المفاهيم- قد تطوي في داخلها مقدمات الهيمنة.

ويقوم مفهوم الخصوصية على افتراض مباشر أو غير مباشر بأن ثقافة المجتمع تحمل خصائص لا يمسه التغيير (الثوابت التي أشرنا لها)، وهذه النظرة اللاتاريخية تشيد جدراننا عالية بين البنى الثقافية المختلفة فلا يؤثر بعضها ببعض بل لا تطل على شرفات بعضها.

ويمكن اعتبار أنور عبدالمك الأكر حذراً في تناول موضوع الخصوصية، حيث حدد دلالتها من خلال مكوناتها التالية:^(١٨)

1- التركيب الداخلي لتصور الخصوصية: الذي وصفه بالمرجع التكويني

المكون من:

(أ) تمكين الحياة الاجتماعية من التحقق والثبات؛ أي مستوى إنتاج حاجيات الحياة المادية (مستوى الاقتصاد).

(ب) استمرارية حياة المجتمعات البشرية عبر الأجيال
المتعاقبة reproduction (عامل الحياة الجنسية البيولوجية كأساس لتناسل
الأجيال البشرية).

(ج) النظام الاجتماعي والسياسي الذي يحقق حداً أدنى من الأمن والسلام داخل
المجتمع وخارجه (السلطة والدولة).

(د) علاقة الإنسان في مجتمعه مع البعد الزمني (الأديان والفلسفات).

2- حركة المربع التكويني في الإطار المكاني والزمني.

3- التفاعل الجدلي بين عوامل الاستمرارية وعوامل التغيير، وهو التفاعل بين
عناصر المربع التكويني.

إن التنوع الثقافي لا ينفي التأثير المتبادل بين هذه التنوعات، فالثقافة معطى
حيوي ينمو ويتطور، يأخذ ويعطي، والتجربة تدل على تساقط بعض الجدران في
مختلف الثقافات وتشبيد جدران بديلة.

ويبدو لي أن خطاب "الخصوصية" ليس بريئاً على الدوام، فبعض منتجيه من
الحكومات والنخبة الثقافية والسياسية خاصة الفكر القومي والإسلامي يشهرونه
لمواراة سوءات الواقع الذي يحكمونه أو حكموه، أو لعلها غريزة تعزيز الذات في
مواجهة الآخر الثقافي من منطلق الإحساس بالنقص.

إن تهيب بعض الخطاب السياسي العربي من وضع خصوصياته موضع
النقد، يجعله مفارقاً لجهود إنسانية تحاول صياغة منظومة قيمية مشتركة، فكم
أسهم الخطاب السياسي العربي في صياغة العهود الدولية لحقوق الإنسان على
سبيل المثال؟

وتتحول "عقدة النقص" أحيانا إلى نزعة عدوانية في الخطاب السياسي تزداد حدتها بعلاقة طردية مع عمق العقدة، وتتضح ملامحها في توظيف مفهوم الاستغراب (Occidentalism) لمواجهة تعبير إدوارد سعيد الاستشراق (Orientalism)^(١٩)، وتتجلى مؤشرات ذلك في الخطاب من خلال التشبث بنصوص مثل:

- إن جذور الحضارة الغربية هي جذور عربية إسلامية.

- عقدة الإعجاز العلمي (ونحن هنا إزاء دفاع يحركه العقل الباطن بهدف تعزيز الشعور بالذات في مواجهة المتفوق علينا، وهو ما يحول دون الانفتاح على الآخر، وهو فعل سياسي بامتياز).

- الاتهام الأخلاقي للمجتمع الغربي، ومركز هذا الاتهام هي العلاقة بين الرجل والمرأة، وهي تهمة تخفي حرمانا حادا، لكنها تتحول لسلوك سياسي عطل مشاركة المرأة عن المشاركة السياسية والاجتماعية حتى في قيادة السيارة في بعض الدول..

- التأكيد على عدوانية الحضارة الغربية من خلال التركيز على السلوك السياسي وتجاوز إبداعها التقني والفكري، وهو أمر يمكن فهمه بالعودة لدراسة اليونسكو عن الصور الذهنية التي تحملها المجتمعات لبعضها البعض، والتي تؤكد على أن هذه الصور ليست صحيحة بالضرورة بل هي انعكاس لطبيعة العلاقة التاريخية بين طرفي العلاقة^(٢٠).

6- غياب العقل التقني (المنهج الكمي) (المدرسة السلوكية) في بنية الخطاب السياسي العربي:

ولعل ذلك تعبير عن غياب الإنتاج التقني من ناحية، وفق دور التكنوقراط في بنية السلطة والمجتمع، إذ تخلو الدراسات السياسية العربية غالباً من الجانب الكمي لا لفقر في الآلة بل لفقر في العقل التقني.

ويكفي الإشارة لبعض النماذج في هذا الجانب، فقد طغت في الآونة الأخيرة فكرة الدور المركزي لقنوات التواصل الاجتماعي التقنية في تأجيج ثورة الربيع العربي، واستسلم الخطاب العربي لهذه المعلومة كما لو أنها حقيقة، غير أن دراسة لنا حول العلاقة بين كثافة توافر أدوات التواصل الاجتماعي والربيع العربي كشفت أن معامل الارتباط بين المتغيرين كان ضعيفاً، إذ إن ترتيب الدول العربية طبقاً لتوافر أدوات التواصل من ناحية ودرجة الاضطراب السياسي، من ناحية ثانية لم يشر إلا لارتباط محدود للغاية^(٢١)، وهي ذات النتيجة التي توصلت لها دراسات عربية^(٢٢)، وهو ما يعزز فكرة غلبة الميتافيزيقيا على الخطاب السياسي، أي القبول بالفكرة دون التحقق من صدقيتها، كما لو أن ذلك تجسيد لتقافة القطيع.

وحول شعارات الثورات الشعبية في الربيع العربي لم يتنبه الباحثون لسبب غياب "الصراع العربي الصهيوني أو القضية الفلسطينية" وتفسير ذلك، فقد تبين لنا من خلال رصد ألف شعار (أو لقطة تلفزيونية لحاملي الشعارات) خلال الفترة من 2011-2012 أن توزيع هذه الشعارات على الموضوعات المختلفة كانت على النحو التالي:^(٢٣)

- 71% حول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

- 14% حول سياسات القوى الدولية الكبرى

- 9% حول التحريض الطائفي.

- 6% حول القضية الفلسطينية.

7- استخدام أسلوب التوافق الإنزياحي (Deflective Identification):

ويعتمد هذا الأسلوب على حيلة التوافق السطحي لمضمون الخطاب مع توجهات الجمهور، لا لتثبيتها، بل لرحضة الجمهور عنها تدريجيا وإحلال توجهات جديدة بدلا منها، كما تظهر في الخطاب السياسي للربيع العربي^(٢٤)، فقد وُظفت اللغة العربية في الآونة الأخيرة توظيفا سياسيا واسعا، فانزاحت عن الممارسة العادية إلى أخطر تشكيل لها في صياغة القوانين والاتفاقيات والقرارات، بل استخدمت في بث التصنيفات الفردية والجماعية والوطنية (تعبيرات مثل البلطجية، الشبيحة، زنقة زنقة، الفلول، الدولة العميقة.. إلخ) ، ما ألقى المسافة بين خشبة المسرح وبين الجمهور في صياغة الخطاب، وذهب الأمر إلى توجيه الأحداث الدولية توجيهها مفرطاً في استخدام العبارة الاصطلاحية، وأمتلتها كثيرة في الراهن المعطى (الشرق الأوسط (لتغيب الوطن العربي)، الحوار (لتبرير التلاقي بالإسرائيليين)، الإرهاب (لتغيب مفهوم المقاومة)، الإصلاح (لامتصاص الثورة)، السلام بدلا من التسوية.. إلخ).^(٢٥) أو استخدام مفردات في السياق الديني لأنها أكثر قدرة على الشحن من السياق العلمي مثل: (الجهاد مقابل القتال) أو (الاستشهادي مقابل الانتحاري) أو (الفدائي مقابل الثائر) (الأمير أو الخليفة مقابل الرئيس)، أو (الشورى مقابل الديمقراطية)، أو (المرتد مقابل المعارض.. إلخ) أو (الفتنة بدلا من الثورة)، وقد تكرست هذه المفردات من خلال ثلاثة أنماط معاصرة للخطاب^(٢٦).

أ- خطاب الميادين: الخطاب الاحتجاجي والمفتوح أمام كل الأفراد.

ب- خطاب الشاشات: ويشمل كل ما تبثه القنوات الفضائية.

ج- خطاب الصناديق: وهو الخطاب السياسي الذي يرافق العمليات

الانتخابية.

وقد خضعت هذه الخطابات لدراسات أكاديمية متعددة، نختار منها:

1- طبق باحث في أطروحة دكتوراة لأحدى الجامعات الأمريكية ذلك على قناة الجزيرة^(٢٧)، متناولا ثلاثة موضوعات هي: الوحدة العربية، الصراع العربي الصهيوني، احتلال العراق عام 2003، وقام بتحليل مضمون أربعة برامج هي: برنامج الاتجاه المعاكس، وبرنامج بلا حدود، وبرنامج أكثر من رأي، وأخيرا برنامج الشريعة والحياة، وقياس كمي لتكرار المفردات وربط ذلك بسياق المفردات وغير ذلك من خطوات تحليل المضمون توصل إلى أن الجزيرة تسعى إلى:

أ - تكريس فكرة استحالة تحقيق الوحدة العربية.

ب - تحويل تدريجي للصراع العربي الصهيوني إلى صراع حدود.

ج - تعزيز النقد في أكثر من رأي، وتعزيز الذهنية القدرية الدينية في الشريعة والحياة.

ويخلص الباحث إلى أن الجزيرة تسعى لاستبدال أو إحلال أفكار سياسية بأخرى من خلال التسلسل للمنظومة المعرفية للمتلقي.

2- دراسة للخطاب الإعلامي السياسي للجزيرة، ونشرها مركز الجزيرة للدراسات، إذ تبين لي قبل ثلاث سنوات من اندلاع الربيع العربي أن قناة الجزيرة تعد المسرح السياسي لحركة الإخوان المسلمين^(٢٨).

3- دراسة تم فيها تحليل مضمون خطب عبد الناصر وصادق حسين، وخلص الباحث إلى أن كليهما لجأ للمفردات الدينية في لحظات الأزمة أكثر منها في اللحظات العادية، كما تزداد لديهما اللغة الأبوية عند تناول موضوعات الخلاف بين السلطة والمجتمع، إلى جانب استحضار التاريخ بشكل انتقائي لتعزيز توجهاتهم^(٢٩).

4- دراسة للخطاب السياسي الساداتي، إذ توصل الباحث لعدد من المفاهيم المركزية في مضمون هذا الخطاب هي: (٣٠)

أ- مفهوم العائلة: الانتقال من استهلال الخطاب بـ"أيها الإخوة المواطنين" في فترة ما بعد عبد الناصر مباشرة، إلى "أبنائي وبناتي" بعد استقرار الوضع الداخلي له، تزايدت مع هذا الاستهلال تعبيرات مثل "الأب"، التطاول، رب العائلة، وهو ما يُراد منه تكريس ثقافة "الطاعة" المغلفة بالاحترام، وهنا يبرز لنا المعلوم والمستتر في الخطاب السياسي العربي.

ب- مفهوم الحب: الدعوة للحب والتعاون بهدف تغييب "الثقافة الطبقية" التي راجت في الحقبة الناصرية.

ج- مفهوم الكسب: وهو مفهوم لا يتساوى في مضامينه مع مفهوم العمل، فالكسب أقل تشبعا في الثقافة المصرية بمعاني أخلاقية، وهو أقرب لمفهوم "الشخصية الفهلوية" التي رسمها حامد عمار (٣١)، كما أن مفهوم الكسب يشكل تعزيزا للنزوع الفردي على حساب النزوع الجماعي.

د- البراجماتية: كان السادات يدرك أن منافسيه أعلى منه مرتبة في الحوار الفكري، فخصومه مزودون بثروة أيديولوجية يصعب مجاراتها ببسر، فكان تركيزه على فكرة "المهم النتيجة".

5- استخدام الأرقام التي لا يمكن التحقق من صحتها للإيهام بالإنجاز، ويمكن تقديم نموذج على ذلك بخطاب الرئيس المصري السابق محمد مرسي في 6 أكتوبر 2012، إذ قال: "إن الحكومة نجحت في تحقيق 70 % من المستهدف في مجال الأمن خلال خطة الـ100 يوم الأولى في برنامجه الانتخابي، و75 % في

ملف الوقود و 40 % في ملف النظافة و 80 % في ملف الخبز و 60 % في ملف المرور لتبلغ نسبة ما حققه في المحاور الخمس لبرنامج ال100 يوم 65 %^(٣٢).

وأحيانا يلجأ الخطاب إلى استخدام تعبيرات ليس لها دلالة محددة مثل "المندسين"، الأيدي الخفية، المأجورين، الطابور الخامس، أصحاب الأجندات.... إلخ، والميل الفطري إلى تفسير الأحداث على أنها سلسلة من "المؤامرات"، وهو أمر ناتج في الغالب عن العجز عن تحليل تعقيدات الواقع، ونقص البيانات والمعلومات، فيتم توظيف الحد الأدنى من المعلومات المتوفرة لبناء تحليل متكامل، وهو الأمر الأيسر في نظرية المؤامرة.

6- تغليب الشخصية على الخطاب: كثيرا ما هيمن صاحب الخطاب على تحليل الخطاب نفسه (النص)، ولعل ذلك متأثر بمدارس التحليل النفسي، ويمكن أن نلاحظ ذلك مثلا في تحليل خطاب عبدالفتاح السيسي (وزير الدفاع المصري) الذي أعلن فيه ما سمي بخارطة الطريق لإصلاح الأوضاع في مصر، إذ نجد التركيز على الجوانب التالية التي رصدها ثلاثة من أساتذة علم النفس:^(٣٣)

أ- إن السيسي كان محايداً في تعبيرات وجهه بدرجة لا تضعك أمام فهم واضح ومحدد لرد فعله، وهو بصفته رجلا عسكريا يتميز بتلك الصفة، فلغة الجسد للضباط تكاد تكون واحدة خاصة أنهم يتلقون تدريبات كثيرة في التعامل مع مثل هذه الحالات، فهم يتمرنون على سلوك معين، فيما هو معروف بـ "الثبات النفسي" و"الثبات الانفعالي"، حتى إنه حين صفق وسط الحضور الذين بدأوا بالتصفيق، كان تصفيقه عسكرياً لا يحمل معنى آخر، حتى إن وجهه طوال الخطاب بدا متجهماً غير دال على شيء، وإشاراته لم تكن متنوعة.

ب- أن عمل السيسى فى المخابرات الحربية أهله كثيراً لتصبح ملامحه متجمدة بدرجة لا تكشف كثيراً عن انطباعاته الحقيقية، واصفا إياه بأنه يتسم بـ "mask face"؛ أي أن وجهه يتسم بقناع لا ينم أبداً عما بداخله، مؤكداً أن ملامحه الصارمة وتعبيراته المحسوبة تجعل البعض يفهمه على حسب ما يريدون، فهو لا يضعك أمام صورة واضحة ، ولكنه يضعك أمام شيء يمكن فهمه بطريقتين ، وهذا النوع من الشخصيات يصعب تفسير ما يريد، ولهذا لا تستطيع أن تحدد إن كان مؤيداً أو معارضاً، فهو رجل منحنى المخابرات خبرة فى الاستطلاع وقدرة على التخفي وعدم "انفلات المشاعر".

ج- أن أسلوب جلوسه خلال ندوات الحوار، يشير إلى أنه "يدقق فى فهم ما يقوله مقابله"، فحين رفع السيسى يده أسفل ذقنه أثناء استماعه لخطاب الرئيس، بدا "وكأنه يتعجب من مضمون ما يقوله مرسى، وأن ما جاء فى الخطاب يخالف ما أراده السيسى".

وفى دراسة أخرى لمفهوم الاشتراكية عند الرئيس الجزائرى الأسبق هوارى بومدين^(٣٤)، يصل الباحث من خلال تحليل مضمون 425 خطابا إلى "أن الرئيس بومدين كان رهين أفكاره المثالية الدينية، وتجربته القيادية السابقة لوحداته العسكرية، وأسير طموحه السياسى، وشكلت مقوماته الذاتية مرجعية تفكيره الذى يقوم على أن مهمة بناء الاشتراكية هى مهمة القائد وليس الجماهير الكادحة"، ويرى الباحث هذه التوجهات الفكرية هى نتيجة انتماء بومدين لأسرة فقيرة ومعاناته المدرسية ثم انتقاله للمدينة واكتشافه الفارق الهائل إلى حد الصدمة بين الريف والمدينة، وتعزز ذلك بانتزاع الفرنسيين لممتلكات أهله، ثم حرق بعض أهالي مدينته على مرأى منه، كما لعب إيمانه على مشاهدة الأفلام المصرية تأثيره على توجهاته العربية وتوجهه لاحقا لمصر، وتأثره بشخصية عبد الناصر^(٣٥).

البنية الاجتماعية العربية المعاصرة وانعكاسها في الخطاب السياسي العربي

المعاصر:

يمكن تحديد المفاهيم المركزية والفرعية التي رصدتها عينة ممثلة من

دراسات علم الاجتماع السياسي العربية في الآتي^(٣٦):

أ **السلطة**: عند النظر في الحقل الدلالي لمفهوم السلطة، نجد أنه يعني في المعاجم اللغوية "المُلك والقدرة"، بينما تتعدد المعاني في المعاجم الفلسفية فنجد لها ظلالا سياسية واقتصادية واجتماعية.

تخلو دراسات هذا المفهوم أو الإشارات له من تأصيل فكري لمعناه السياسي في التراث العربي، ويغلب على مقاربات هذا المفهوم التأصيل الغربي في الوقت الحالي أو الإشارة للتقاليد الفارسية تاريخيا، ولعل اللافت للنظر أن أغلب ما أنتجه الفلاسفة اليونان القدماء انصب على هذا الجانب الذي تجنبه فلاسفة الحضارة الإسلامية رغم اعتنائهم بالموضوعات الأخرى في الفكر اليوناني، ويبدو أن ذلك عائد للطريقة التي نشأت فيها السلطة السياسية في الدول الإسلامية، إذ إن السلطة تشتمل على بعدين هما حاكم من ناحية ودستور أو عقد اجتماعي أو وثيقة حكم من ناحية ثانية، وفي التاريخ الإسلامي تسنمت الدولة بداية سلطة (الرسول) بإرادة لم يكن للمجتمع أي دور فيها (الوحي)، وتراكم النص التشريعي المنظم للسلطة والمجتمع خلال 23 سنة، دون أن يكون لهذا المجتمع أي دور في صياغة هذه النصوص، واقتصرت مهمة الأفراد والنخب على فهم أو شرح أو حفظ هذه النصوص، ونظرا لإضفاء القداسة على السلطة الأولى (النبوي) والنص التشريعي (القرآن)، تكرر تقليد بأن موضوع السلطة ليس مما تشغل به الأمة^(٣٧)، وما إن اكتمل النص، وتدرجت الذهنية على التلقي، ضغطت التحولات الكبرى بعد موت الرسول نحو حل مشكلة السلطة، فتاه المجتمع بين نماذج

مختلفة أدت لمقتل ثلاثة خلفاء من أربعة، فكان الحل بنقل النموذج الملكي الوراثي، ليستقر هذا النموذج لبقية عمر الحضارة الإسلامية، وما تزال بقايا هذا النموذج قائمة حتى اللحظة.. ولم يتمكن الفكر العربي المعاصر من تطوير مفهوم للسلطة فبقي يراوح بين السلطة "المقدسة" أو السلطة التي تعبر عن تقاليد غربية، وهو ما يتضح في كل النماذج الفكرية التي وقفنا عليها وأشرنا لها في هامش هذه الدراسة، فالفكر العربي المعاصر إما "يجتر أو يرضع".

غير أن الممارسة للسلطة، تشير إلى أن السلطة السياسية هي امتداد لمفهوم السلطة الأبوية، وفكرة الراعي، أو أنها ترى في البشر قصورا لا يؤهلهم لصياغة عقد اجتماعي خاص بهم، وهو ما يتضح في دعوة سيد قطب إلى "قيام مملكة الله في الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبه من العباد ورده إلى الله وحده، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها، وإلغاء القوانين البشرية"..^(٣٨)

ب - القبيلة : عند قراءة الخطاب السياسي لحزب البعث بشقيه العراقي والسوري، وكذلك الحال بين البعث والناصرية، أو بين التيارات الناصرية، أو بين طيف الأحزاب الإسلامية لا تجد أية خلاقات فكرية ذات معنى لتفسر حالة العداء الحادة بين هذه التيارات وداخلها، إن الأزمة في البنية الاجتماعية التي أفرزت هذا الخطاب، وهي المتمثلة في قبلة السلطة (من خلال الزحف التدريجي للعائلة على المراكز الحساسة في بنية السلطة)، وفي كمون مفهوم المضارب في مفهوم الوطن، وهو ما يتضح في لحظات الأزمة، إذ يرتد الفكر في لحظة الأزمة نحو هذه المعاني فيمتد الظل الطويل للبنية الاجتماعية على بنية الخطاب.

ج - الطبقة : عند استعراض الخطاب الماركسي العربي ممثلا في دراسات محمود أمين العالم وحسين مروة وطيب تيزني وسمير أمين ومهدي عامل وإسماعيل صبري عبد الله ومحمد سيد أحمد وصادق العظم^(٣٩) لا تجد سوى

ماركسية بحروف عربية، وتخلو كل هذه الدراسات من أي استقصاء ميداني، وهو ما جعل أحدهم يقول في توصيف الخطاب الماركسي العربي بأن "حجم معرفته الواقعية بأمور المجتمع الذي يناضل بين صفوف أبنائه محدود.. ويتميز بالسرعة في محاولة اكتشاف الحلول، دون إدراك كامل لكل حقائق وتعقيدات وتركيبات المجتمعات العربية التي تعاملنا معها"^(٤٠).

د **المنخبة**: وهو التعبير المرادف لما ورد في التراث باسم أهل الحل والعقد، وتتضح هذه المسألة في دور المكانة (المركز أو الموقع الاجتماعي او السياسي.. إلخ) لصاحب الخطاب في تأثير الخطاب، وتقرن إحدى الدراسات على سبيل المثال استعداد المتلقي للتقبل بين خطابات حسن نصر الله وجورج بوش الأب، ووصل إلى أن هناك صورة مستقرة في لاوعي المتلقي حتى الذي ينفىها نجدها ضاغطة عليه للتقبل أو الرفض، فقد رسم نصر الله-مثلا- صورة في ذهن المتلقي لها دور في قوة الخطاب.. ويستشعرها المتلقي حتى المعادي له^(٤١)، وهكذا فإن سرد شهادات صاحب الخطاب أو مناصبه تؤثر على "مهابة" الخطاب، كما أن المقارنة بين خطاب المنخبة المغاربية يكشف عن "نزعة رشدية" قياسا لنزعة "غزالية" في خطاب المنخبة المشاركة، كما تصور الجابري، لكن هذا الخطاب هو من المنخبة وللنخبة.

هـ - **العسكريتاريا**: إذا استثنينا الدراسة التي أشرف عليها أنور عبدالمالك (ومعه عدد من الباحثين الأجانب) حول دور المؤسسة العسكرية في التغيير والتنمية^(٤٢)، فإن الدراسات السياسية العربية لدور هذه المؤسسة قليل جدا، وقد كان مرحبا بهذا الدور حتى عام 1967، ثم بدأت ظاهرة المقاومة الفلسطينية وتنامي النقد للمؤسسة العسكرية العربية، لكن الخطاب السياسي العربي في هذا الجانب كان أقرب للمساجلات الإعلامية منه للدراسات العلمية.

غير أن الخطاب السياسي العربي بدأ يعرف ظاهرة "عسكرة المجتمع" الذي تحث عليه أدبيات الخطاب "الجهادي"، بعد تزايد ظاهرة العنف، وانتشار السلاح، كما أن الخطاب الماركسي (الصراع الطبقي) والخطاب القومي (التحرر من الاستعمار والرجعية) عززا نزعة العسكرتارية في المجتمع، وهو ما أسس للتضييق على الحريات بذريعة أخلاقية، بل إن المبالغة تبرز بشكل رئيسي في نزعة وصفها باحث "بالفحولة السياسية"، وهي "لا تعني المعنى البيولوجي وإنما دلالات المعاني المضمره وإيحاءات المقاصد التي تضفيها الثقافة العربية على الفحولة في الأدب والشعر والسياسة، إن الفحولة السياسة بُنية قيمة واجتماعية ونفسية تشكلت عبر مراحل تاريخية طويلة وأصبح حضورها لاشعورياً في الخطاب السياسي والممارسة العملية. الفحولة السياسية لها قيمة محورية تدور في صورة الذكر شديد الوطأة، صعب المراس، قوي الشكيمة وصاحب الغلبة على أقرانه، الفحولة السياسية تعني الجسد المنتج لدلالات الرجولة وعلاماتها الفارقة التي تعكس وجوباً للهيمنة والثقة من ناحية، ومعادلاً ذاتياً معاكساً للضعف والوهن من ناحية ثانية، المهم أن يكون جسد وإيماءات وحركات وصوت السياسي منتجاً لدلالات القوة المجردة والفروسية بمعانيها الاجتماعية، ذلك لأن علامات الضعف وإن كانت تصدر عن شخصية ذكورية، إلا أنها تصبح بسبب آليات الاستدعاء الذهني والنفسي ذات دلالات أنثوية تقترن بقيمة الجسد الأنثوي المغلوب على أمره، وهذا ما لا تريده ولا تستطيع أن تستسيغهُ الذائقة العربية، ولذلك قام الخطاب السياسي العربي على المبالغة من دون أي تقدير عقلائي لتوازن القوى وقوانين اللعبة الدولية وللممكن، فالسياسي عندما يمتلك القوة بمعانيها المادية المجردة يميل إلى استخدامها بأقرب فرصة، فإذا لم يستخدمها يريد استعراضها والتلويح بها، وكأنها عضلات ذكورية بحيث تبدو المسألة شخصية أكثر منها سياسية لردع الآخر، المشكلة أن يظهر خطاب

الفحولة السياسية بصورة شعر النقائص والتمرين الكلامي البعيد عن حدود الواقع وممكّنات الضرورة في حدودها القصوى فيتناسى في لحظة أن جمهور هذا الخطاب ليس القبيلة أو العصابة الحزبية أو السياسية، وإنما النخب السياسية العالمية والوجدان الإنساني المعولم".^(٤٣).

و -**التنمية السياسية** : وتعني تحديث الثقافة والأجهزة والقوانين السياسية بالقدر الذي يجعلها قادرة على التكيف مع التطور العام بما يحافظ على استقرار المجتمع، فلو أخذنا موضوع الدور السياسي للمرأة في الخطاب السياسي العربي(الخطاب الديني والعلماني) سنجد أن الخطاب الديني أقل تركيزاً على هذا الموضوع، مقابل تكرار إلى حد الملل في الخطاب العلماني العربي، ومع ذلك فإن دراسة لنا عن الممارسة الفعلية في عينة من الأحزاب العربية تشير إلى أن نسبة وجود المرأة في هيئات صنع القرار في الأحزاب العلمانية هي 2، 6% مقابل 22، 5% في الأحزاب الدينية، أما نسبة مشاركة المرأة في عضوية الأحزاب السياسية العربية فلم تتجاوز نسبة 8% في أفضل الحالات^(٤٤).

ي -**المجتمع المدني** : ويعني شبكة التنظيمات الاجتماعية المستقلة عن الدولة(فهي تنظيمات غير حكومية) وعن السوق (تنظيمات لا تستهدف الربح)، ولم يظهر الخطاب السياسي العربي المعني بالمجتمع المدني قبل تسعينات القرن الماضي، وكان الاهتمام منصباً قبل ذلك على تاريخ الجمعيات التاريخية أو من خلال دراسة الخدمة الاجتماعية، لكن بعض الاستقرار في تداول المفهوم بدأ يظهر مع الألفية الثالثة، مع أن جزءاً غير يسير من الخطاب السياسي العربي في هذا الجانب يتركز على "دور المعونات الخارجية في نشاط هيئات المجتمع المدني العربي".

وقد دخل هذا المفهوم على الخطاب السياسي العربي من باب الحاجة للديمقراطية وحقوق الإنسان، وأصبحت التنوعات الاجتماعية بما فيها الطوائف

والأقليات وعلاقة أفراد المجتمع ككل بالدولة هي مشكلة "السلطة" ^(٤٥)، لكن الخطاب السياسي العربي لم يستقر عند مفهوم محدد للمجتمع المدني، فثمة خلاف حول مكان الروابط القبلية، والأحزاب، والأقليات في هذه البنية، فالبعض يدمجها في المفهوم بينما يقصدها البعض الآخر، لكن البعد الديني في تشكيلات المجتمع المدني العربي بقي شاخصا بشكل واضح.

إن التحولات التي جرت في عدد من الدول العربية، كشفت من خلال الخطاب السياسي عن "عدم الثقة" بين المجتمع المدني والدولة، وهو ما يتضح في الخطاب الحقوقي، كما أن خطاب حقوق الإنسان بقي خطابا نخبويا لم يتجذر في الثقافة الشعبية ^(٤٦).

أ - الديمقراطية: الشورى:

يقياس الخطاب السياسي العربي الديمقراطية مع الشورى كما فعل محمد عبده، ويتفرع الاستبداد عنده إلى مطلق (تصرف الواحد في الكل على وجه الإطلاق في الإرادة)، ومقيد (غير ممنوع لا في الشرع ولا في العقل بل هما على وجوبه) ويتجلى في الشورى القائمة على مناصحة الأمراء (٤٧)، لكن الشورى لم تكن يوما مؤسسة لها قواعد إجرائية، بل يتعذر تقديم نماذج عليها خارج نموذج عمر بن الخطاب كحالة فريدة لكنها لا تشكل تأسيسا لتقاليد تاريخية.

ويتجلى توتر الخطاب العربي في دعوات للديمقراطية تقابلها دعوات للوحدة، فالأولى تهفو نحو حق الثقافات الفرعية في التعبير عن نفسها خطابا وإجراء، بالفكر والتنظيم، وقد تصل لحق الانفصال العضوي، وهنا تستيقظ الوحدة معبرة عن ذاتها نصا بمصطلحات الأمن القومي، والوحدة العضوية، والرباط التاريخي، ويعبر باحث عراقي ^(٤٨) عن هذا التوتر في الخطاب بقوله "إنهم يقعون في الوهم السياسي بأن الديمقراطية تعني تماثل الدولة أو المؤسسات التمثيلية مع تركيبة

المجتمع العراقي (الخارطة القومية والدينية والطائفية والعرقية) لكون هذه التركيبة تمثل أصالة المجتمع العراقي المخترع سياسيا من قبل هذه الجماعات ، إن هذه التركيبة تؤدي إلى نتائج مأساوية لأنها تفتقد إلى سيرورات التمركز السياسي للمجتمع العراقي حول نواة صلبة مهما اختلفت التيارات السياسية أو تنوعت اتجاهاتها.

إن هذا الخطاب السياسي الناجم عن تراث الفكر البلقاني (نسبة إلى منطقة بلقان) الذي تم إعادة إنتاجه عبر آليات الهويات القومية والدينية والطائفية والعرقية والأصالة والتفرد في المخيلة الأيديولوجية يؤدي إلى تقسيم العراق إلى طوائف وقوميات (سنة، كرد، شيعة، تركمان، آشوريين) وتوترات سياسية لدى الجماعات الأخرى المهمشة والمقصية عن السلطة والثروة".

ب- العولمة : وتعني النظر إلى المجتمع الدولي كوحدة تحليل واحدة، فإذا كانت البنية تتحدد بشبكة التفاعل بين مكوناتها، فالسؤال الذي بنيت عليه أدبيات العولمة هو: ما هو شكل البنية التي سينتهي إليها تنامي وتسارع التفاعل بين المجتمعات والكيانات المختلفة؟

عند مراجعة الخطاب العربي لهذا المفهوم، ورغم التباين في ترجمته (الكوكبة، العولمة.. إلخ)، فإني لم أعثر على أي قياس لهذه الظاهرة في كل الدراسات العربية، وعند قياسها تبين لي أن المنطقة العربية هي الأقل بين الأقاليم الأخرى في مستوى انتشار الظاهرة، وهو ما يعني أن الخطاب العربي حول هذه الظاهرة ليس إلا إدراكا قلوبيا لا تسنده التجربة، شأنه في ذلك شأن أغلب المفاهيم التي أشرنا لها^(٤٩).

والمربك في الخطاب السياسي العربي أنه عند توصيفه للخصم التاريخي يتمحور حول "الغرب المسيحي الاستعماري"، بينما أوسع العلاقات السياسية

والاقتصادية والثقافية يتمحور بشكل شبه كلي مع هذا الخصم، وهو ما يؤكد على الطابع "التوفيقي" في الخطاب السياسي العربي.

ما قبل.. وما بعد

أتمسك بداية بفرضيتي بأن الخطاب السياسي العربي خطاب "ميتافيزيقي" بالمعنى الكانتي للمفهوم^(٥٠)، أي خطاب يقارب موضوعه بالتصور المجرد، إن الخطاب السياسي العربي المعاصر يكبت الفعل لصالح القول، وتخالجني رغبة في الاتكاء على التحدي القرآني "فأتوا بحديث مثله" (الطور - 34)، (فأتوا بسورة مثله) (يونس - 38)، (فأتوا بعشر سور مثله) (هود - 13)، فلم لم يذهب التأويل لفهم السورة على أنها "الفعل لا القول"؟

إن انحياز الخطاب للقول على حساب اللفظ، جعله معنيا بتحقيق سلاسل مترابطة من المصالحات الذهنية، لكنه غير معني بالإجراء، مما جعل الخطاب كمن حفظ بكل دقة خطوات السباحة دون أن تلمس قدماء الماء.

إن المنهج التعليمي، والفنون بألوانها، والفكر بموضوعاته المختلفة مدعوة "لتقننة" ثقافتنا ومعارفنا، أي كيفية تحويل الفكرة لإجراء، أي أن تتغلب علامة الاستفهام "كيف" على علامة الاستفهام "ماذا"...

الهوامش

- 1 - من الضروري التنبه لتعدد المصطلحات في هذا المقام، فثمة قدر من الارتباك في أدبيات الموضوع وعدم استقرار بين الباحثين حول التعبير الأكثر تعبيراً والأكثر دقة، إذ نجد تداخلاً كبيراً واستعمالاً متبايناً لمصطلحات مثل: الخطاب، النص، اللغة، الكلام، اللسان..

2- Zellis S.Harris- Discourse Analysis,Language,Vol.28,no.1,Jan-Mar.1952,pp.1-30.p.1,

3 - ثمة نقاش حاد بين الباحثين السياسيين حول جدوى وحدود توظيف تحليل الخطاب السياسي، سواء في العلوم السياسية أو العلاقات الدولية: للتفاصيل انظر:

- DAHLMAN, C. T., and BRUNN, S. D., 'Reading Geopolitics Beyond the State: Organisational Discourse in Response to 11 September', *Geopolitics*, 8 (3), 2003, pp. 253-280

- Howarth, D. and Torfing, J. (eds.) *Discourse Theory in European Politics: Identity, Policy and Governance*, Basingstoke, Palgrave Macmillan,2004. pp. 316-349.

- MILLIKEN, J., 'The Study of Discourse in International Relations: A Critique of Research and Methods', *European Journal of International Relations*, 5 (2), 1999, pp. 225-254

- MÜLLER, M., , 'Reconsidering the Concept of Discourse in the Field of Critical Geopolitics: Towards Discourse as Language and Practice', *Political Geography*, 27 (3), 2008pp. 322-338

-Martin Müller-Doing discourse analysis in Critical Geopolitics.
<http://espacepolitique.revues.org/1743>

4 - Blanca Camps-Febrer-Political Humor as a confrontational tool against the Syrian regime, A study case :Syria, 15th March 2011 – 15th May 2012 -Institut Català Internacional per la Pau,Barcelona, December 2012.pp.19-39

5-

http://www.mountainman.com.au/essenes/aristotles_modes_of_persuasion_in_rhetoric.htm

6- Paul Chilton-Analysing Political Discourse :Theory and Practice,Routledge,NY.2004.pp.194-205

7- Nawaf Obiedat-The presentation of Thematic Structure in the Translation of English and Arabic Political Discourse, Ph.D Theses ,Durham University,1994.pp.605-606

8- What is Political Discourse Analysis? Teun A. van Dijk,
<http://www.discourses.org/OldArticles/What%20is%20Political%20Discourse%20Analysis.pdf>

9- Teun A. van Dijk-Ideology and discourse: A Multidisciplinary Introduction, Universitat Oberta de Catalunya,2000, pp.42-61

10 - تقوم النظرية البنائية الاجتماعية على فكرة مركزية مؤداها اعتبار النص منتجا اجتماعيا أنتجه أفراد ضمن سياقات اجتماعية معينة، ويتم الاستناد لهذا النص كأداة للتفسير من ناحية وتقديم الذات للآخرين من ناحية أخرى.

11- ميشيل دون- الديمقراطية في الخطاب السياسي المصري المعاصر، ترجمة عماد عبداللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

12- نقصد بالميتافيزيقيا المعنى الذي استخدمه "كانت" وهو الإدراك الذي يكون قبليا سابقا على التجربة. وقد اتهم جلال أمين الخطاب الاقتصادي العربي بأنه "تراثي ميتافيزيقي". انظر: جلال أمين: نحو تفسير جديد لأزمة الاقتصاد والمجتمع في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989.

13- حول مفهوم التوفيق في الفلسفة السياسية، يميل الباحثون إلى أنه مفهوم ضعيف في التقاليد الفلسفية الغربية، ورغم إشارات عابرة لدى هوبز (القانون السادس: قانون العفو، والقانون الخامس عشر: قانون الوسطاء)، وإشارات لدى هيجل في فلسفة الحق حول الحرية الفردية وتحقيقها من خلال التوفيق بينها وبين الدولة، فإن جون راولز (John Rawls) في نظرية العدالة كان الأكثر عناية بهذا المفهوم، لكن ما يميزه عن المصالحة الذهنية أنه "أداتي"، أي يعنى بالكيفية التي يتم فيها تحقيق التوافق بين المتناقضات. انظر التفاصيل في :

Paulin Manwelo SJ-The Theme of Reconciliation in Political Philosophy.

<http://www.sjweb.info/documents/sjs/pjnewarticles/103-1-02ENG.pdf>

14 - حول مسألة ضعف الفكر السياسي في التراث العربي الإسلامي: انظر علي عبد الرازق - الإسلام وأصول الحكم، ط 3، مطبعة مصر، القاهرة، 1925، ص.22-31.

15- عابد أنصاري-تحليل الخطاب السياسي العربي "الاستبداد والهيمنة وغياب الرؤية الشاملة"، دار الكتاب الحديث، 2009.

16- للتفاصيل حول هذه الثنائية أنظر:

- ميشيل عفلق: في سبيل البعث، دار الطليعة، بيروت، 1959، ص.26.

- منيف الرزاز: دراسات في القومية: دار الطليعة، بيروت، 1960. ص21

- محمد أحمد خلف الله: عروبة الإسلام، مجلة المستقبل العربي، السنة. 1، العدد 2، 1978، ص29.

17 - محمد أمزيان - منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، هيرندن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1980، ص 354-355

18- أنور عبد الملك، من أجل استراتيجية حضارية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005. ص. 123-183.

19- Hussain Al-Sharoufi-Critical discourse analysis of political editorials in some Arabic Newspapers.

<http://www.paaljapan.org/resources/proceedings/PAAL11/pdfs/02.pdf>

20- William Buchanan, Hadley Cantril-How Nations See Each Other: A Study in Public Opinion, University of Illinois Press, 1953

21 - وليد عبد الحي وآخرون_الانفجار العربي الكبير: في الابعاد الثقافية والسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012. ص. 194

22 -<http://www.globalsherpa.org.-arab-countries-revolution-index-ranking>

23- وليد عبد الحي-المشهد السياسي العربي 2012: إقليم مضطرب، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2012. ص. 4.

24 - عماد عبداللطيف-بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، القاهرة، 2012.

25- د.ناصر بن عبد الله الغالي د. الجمعي بولعراس-التعبيرات الإصطلاحية في لغة الخطاب السياسي العربي ومواجهة الأحداث الدولية.

www.iium.edu.my/irkhs/arabiclang/journal/index.php%3Fop.

26- عماد عبد اللطيف، المرجع السابق.

27- Mahmoud Al-Sadi

Advisor: Dr. John Campbell

Dissertation: Al-Jazeera Television: Intifadah on the Air. The University of Memphis, 2011

28 - سامي الخزندار ووليد عبد الحي-استطلاع آراء اساتذة العلوم السياسية والإعلام حول مدى مهنية قناة الجزيرة، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2008، انظر الصفحات: 82-84

29- <http://www.odabasham.net/show.php?sid=1715>

- كريستينا شتوك-اللغة كوسيلة للسلطة: استراتيجيات البلاغة العربية السياسية في القرن العشرين -1999ط. الأولى رايشرت فيزيادن .

30 - <http://acpss.ahramdigital.org.eg/siminardetails.aspx?seminarid=6>

31 - حامد عمار- في بناء البشر: دراسات في التغيير الحضاري والفكر التربوي، طبعة جديدة، دار الصيف، القاهرة، 2010.

32- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=358540>

33- <http://www.elwatannews.com/news/details/211445>

34 - أحمد بن مرسل-مفهوم الاشتراكية في التجربة التتموية الجزائرية: دراسة تحليلية لخطب الرئيس بومدين 1965-1978، أطروحة دكتوراة، معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1994. ص374.

- 35- أحمد بن مرسللي، مرجع سابق، ص 90-100.
- 36 - إبراهيم إبراش: علم الاجتماع السياسي "مقاربة إبستمولوجية ودراسة تطبيقية على العالم العربي"، إي-كتب، 2011.
- شعبان الطاهر الأسود: علم الاجتماع السياسي "قضايا العنف السياسي والثورة"، الدار المصرية اللبنانية، 2001
- خلدون النقيب: المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987
- محمد جابر الأنصاري: تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995
- هشام شرابي: النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999
- حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر "بحث في تغير الأحوال والعلاقات"، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
- ناصر جابي: الجزائر: الدولة والنخب، درا الشهاب، الجزائر، 2008.
- أماني قنديل: المجتمع المدني والدولة في مصر، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، 2006.
- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.4، 1982
- 37- تشير بهذا الخصوص إلى موقف الإمام أبو حامد الغزالي الذي يقول "اعلم أن النظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضا من فن المعقولات، بل من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها، وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ". انظر التفاصيل:
- أبو حامد الغزالي-الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق إبراهيم أكاه جوبقجي وحسين آتاي، أنقرة، كلية الإلهيات، جامعة أنقرة، 1962.صص.234-246

- 38- سيد قطب-:معالم في الطريق، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.ص.82-83.
- 39- انظر بهذا الخصوص: 1- محمود أمين العالم: مفاهيم وقضايا اشكالية، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1989، ص 42 - 41.
- 2- حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ج 2، بيروت، دار الفارابي (1977 - 1979).
- 3- طيب تيزيني: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي من العصر الجاهلي حتى المرحلة المعاصرة، ط2، دار ابن خلدون، بيروت، 1978، ج1.
- 40- اسماعيل صبري عبد الله: مقابلة في صحيفة القيس الكويتية بتاريخ 30 و31-يناير 1988.
- 41-مازن السكران-فن تحليل الخطاب السياسي:لسانيات النص.
<http://www.ahmedwahban.com/aforum/viewtopic.php?f=12&t=15423>
- 42- قدم أنور عبد الملك دراستين في هذا المجال هما:الجيش والحركة الوطنية وكتاب المجتمع المصري والجيش 1962-1970، وقد نحى في كتابه الثاني منحى مختلفا نوعا ما عن كتابه الأول.
- 43- <http://www.azzaman.com/?p=21148>
- 44- وليد عبد الحي وآخرون-مرجع سابق، ص 185-186
- 45- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص.66-82 و 87-88.
- 46-
http://foundationforfuture.org/en/Portals/0/Conferences/Research/Research%20papers/Amani_Kandil_Arabic.pdf
انظر ايضا :عزمي بشارة-المجتمع المدني-دراسة نقدية، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012.ص.330-333

47 - محمد عبده: الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق محمد عمارة، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972-1974، المجلد الاول، ص. 350-354.

48 - يوسف محسن-تحليل الخطاب السياسي حول مفهوم الديمقراطية الشعبوية. <http://m.ahewar.org/s.asp?aid=14680&r=75&cid=0&u=&i=1102&q=>
49- وليد عبد الحي-انعكاسات العولمة على الوطن العربي، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2011.

50- يميز كارنت بين ميتافيزيقيا العقل النظري وميتافيزيقيا العقل العملي، فالأولى معنية بفهم الأشياء في ذاتها، بينما العقل الميتافيزيقي العملي مشغول بوعي عالم الظواهر.. وقد نقد الميتافيزيقيين لأنهم استخدموا عقولهم خارج حدود التجربة.

التعليقات والمناقشات

- د. محمد الحوراني

يعتقد بأن الخطاب السياسي العربي لا يركز على حقائق علمية أو مؤشرات علمية طالما ضمن استجابة الآخر كما يريد وذلك بالهيمنة.

ويقول: من المعروف أن النُخب التي تعتمد الهيمنة ومنطق القوة لا تحسب حساباً للجماهير أو لا تراها أصلاً؛ لذا تجدها لا تعتمد على مؤشرات رقمية. بينما في الدول الديمقراطية نجد الخطاب قائماً على دراسات علمية ويحتوي أرقاماً حقيقية تستثمر في الدراسات المستقبلية.

كما يرى أن المنطق الذي تقوم عليه العلاقة بين الدولة والمجتمع عندنا يفرض هذه الصيغة من الخطاب الذي يحوّل الحقائق إلى تصورات، والجماهير بدورها تستجيب لها. وإلا مثلاً، ما الذي دعا القذافي ليقول للشعب الليبي الثائر عليه "من أنتم"؟!.

- د. تيسير أبو عرجة

يرى أن الخطاب الإعلامي العربي الموظف في خدمة الخطاب السياسي العربي خطاب دعائي، الهدف منه الوصول إلى الجماهير بلغة تحقق أهداف صاحب الرسالة السياسية؛ لذلك فالخطاب الإعلامي العربي مدروسٌ بذكاء، فيه علم نفس ومعرفة واضحة لقاعدة "لكل مقام مقال" مع اختيار دقيق للوقت المناسب. كما أن الجماهير العربية أيضاً عندها الذكاء بحيث تنتج بين حين وآخر مقولاتٍ تصبح فيما بعد ذات تأثير كبير مثل المقولة الشهيرة: "الشعب يريد إسقاط النظام"، كما يؤمن بوجود جماهيرية عبقرية تطلّ بين حين وآخر، تثبت وجودها، تزلزل كيانات معينة، ويظن أن هذا ذكاء جماهيري تلعب ظروف كثيرة أو تراكمات معينة في صناعته. كما يرى أن الإعلام يعمل على أساس نظريات تاريخية موجودة منها: نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، ونظرية الغرس الثقافي، والأجندة أو ترتيب الأولويات.

- د. عبدالجليل عبدالمهدي/ رئيس الجلسة

يطلب من الباحث أن يتحدث بإيجاز حول قناة الجزيرة، من حيث: أهدافها، ما يدور حولها، وما يجري فيها.

- رد الدكتور وليد عبدالحى

يوضح فيما يخص قضية الهيمنة بأنها تتم بوساطة القبيلة أو العسكرة أو وسائل الإعلام، والمهيمن ليس بحاجة إلى إقناعي؛ فهو يفرض سلطته وحسب، وهذا (جانب من جوانب الخطاب الذي يشمل الجابري وحسنين هيكل... وغيرهم). كما يرى أن من الصعوبة تحديد إطار وحدود الخطاب السياسي.

وفيما يخص قناة الجزيرة يقول: في بدايات قناة الجزيرة كانت الجرعة الدينية فيها هي الطاغية وتحديداً باتجاه الإخوان المسلمين، وهذا أمر مثبت بالأرقام وفق دراسة علمية نشرتها قناة الجزيرة نفسها، وأظن أن هذا الأمر نابع من رؤية لدى القناة مفادها زحزحة الناس في بداية الأمر عن قناعات معينة، وإلى أن يتم لها هذا الأمر تقدّم رؤية بديلة للفكرة السائدة، وهذا يمكن استنتاجه من خلال نماذج معينة تسيء للوحدة العربية مثلاً أو صراعات إسرائيل مع العرب. فعندما نحسب تكرارها ومدتها الزمنية وعدد البرامج التي قدمت فيها وعدد الأشخاص الذين تبناها وعدد الخصوم نجد أن الفارق واضح، وهذا التكرار ممنهج بشكل دقيق وليس مصادفة؛ لذا فإنني أرى أن القناة لا تعمل بعشوائية وإنما بتخطيط دقيق ومبرمج وذلكي إلى أبعد الحدود بحيث لا يمكننا تجاهله.